

وقع ثالث كتبه في معرض الكتاب الثلاثين

أيمن زيدان لـ«الوطن»: لستُ كاتباً محترفاً وطموحاتي لا يكفيها عمر واحد



وائل العديس | تصوير: طارق السعدوني

قبل ساعة من الموعد المحدد، تقاطرت الناس إلى «الجناح B» لحضور حفل توقيع كتاب «تفاصيل»، فازدحم المكان ازدحاماً لم يكن بالحسبان، وكان عسيراً أن يتسع لكل هؤلاء المحبين، فتم كسر القاعدة لتشارك الموقف وتُفتت الطاولة والكتب على عجل إلى ساحة المكتبة لتكون مسرحاً للممثل والخبير والناقد أيمن زيدان الذي بالكاد التقط أنفاسه قبل أن يباغته محبوه بطبقات التوقيع والنقاط الصور التذكارية.

إذاً، وقع زيدان كتابه الجديد في اليوم ما قبل الأخير من فعاليات معرض الكتاب الدولي الثلاثين في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، وهو الناتج الثالث له بعد المجموعتين القصصيتين «أوجاع» عام ٢٠١٥، و«ليلة رمادية» عام ٢٠١٦.

ويُقع الكتاب الصادر عن مؤسسة «سوريانا» للإعلام والإنتاج الفني بطبعته الأولى في مئة وثلاث صفحات من القطع المتوسط، ويتألف من ٣٦ فصلاً.

ويُفتتح زيدان كتابه فيقول إن «تفاصيل» لوحة حياة غادرتها معظم أبطالها، وهجرتها الأرزقة والدروب، وما تبقى منها سوى الحنين.

لحظات مسروقة

وفي تصريحه لـ«الوطن»، قال زيدان إن كتابه لحظات مسروقة من تفاصيل الطفولة وبدايات الشباب، ويحتوي على محطات مهمة، ويسلط الضوء على فترة نستطيع من خلالها استنشاق قصص الزمن التاريخي، وحال الأسرة البسيطة التي نطقت جميعاً بأحلامها وبالتحديات التي تواجهها، ويرصد تفاصيل تعبر عن أغلبية الأوسر المتوسطة التي جاءت من الريف إلى المدينة.

ورداً على سؤال أجاب بأن الكتابة ليست قرأراً وإنما لحظة إلهام، لحظة تباغت وتلمى عليك لترميمها أنت على الورق، مؤكداً أنه ليس كاتباً محترفاً وإنما يكتب ما تملبه عليه روحه.

وعلق على نشاطه الفني والثقافي المكتففين بأن طموحاته الشخصية لا يكفيها عمر واحد، وأنه يشعر بأن مازالت لديه ساعات مهدرة من عمره.

وأشار إلى أنه ركز في كتابه الجديد نحو «الأكثر تأثيراً»، بمعنى أنك لا تقرأ لتعرف من أيمن زيدان، بل لتتعرف إلى مرحلة تاريخية كاملة، وفترة من الزمن بكل شخصياتها وتفاصيلها، مرفداً بأن الكثير من الأشخاص والدروب والأزقة عالق في ذاكرتي ذاك الحين، أعتقد أنها ستؤرخ مرحلة، بعيداً عن تفاصيل حياتي

والفروق بين كتبه الثلاثة، أوضح زيدان الشخصية. وحول الفروق بين كتبه الثلاثة، أوضح زيدان أن «ليلة رمادية» عبارة عن مجموعة قصص قصيرة ينتمي معظمها إلى فترة الأربعينيات، في حين يعبر كتاب «أوجاع» عن أوجاع ارتدادات الحرب، والقصص في الكتابين متخيلة، أما في «تفاصيل» فإني أرصد لحظات حياتية وتجربة ذاتية حقيقية منذ طفولتي وصباي وحتى بدء الدخول في العمل الفني، ما يشبه التوثيق.

وعن الحزن الذي يطغى على كتاباته تساءل: هل هذا الزمن جدير بالفرح؟ ومن أين نستعير هذا الفرح؟ وتابع: نعوذ لا نجامل، أحلامنا وحياتنا لم تتصل إلى ما نصبو إليه، وعلى الإنسان أن يكون حقيقياً على المستوى الوجداني، وأنسى أن ترسم الحياة عناوين للفرح لترصدها.

رحلة شاقّة

ينطلق زيدان منذ لحظة ولادته في بلدة «الرحبية» فجر الأول من أيلول عام ١٩٦٥، ليؤنق مراحل طفولته ومرامته وسنوات شبابه الأول.

في فصل الكتاب الأول، كتب زيدان عن ولادته فقال: كانت ولادتي عسيرة بعض الشيء كما روت أمي، فقد كنت بكرها وكان حملي كبيراً، لكن فرحة الابن البكر في تلك القرى أكبر من وجع الدنيا، أما أبي فلم يمارس تلك المشهية للفرح لترصدها.

الدمشقي المزدحم كانت المرة الأولى التي يلامس فيها جسد أمي ولم يكن قد تجاوز الخامسة من عمره حين وجد نفسه بين أحضان ابنة الحيران الفتية وهي تعبت بجسده الصغير في زاوية الحمام المظلمة، وقال: ما زلت أذكر تهادجات أنفاسها ورعشات جسدها التحيل وذلك العناق العنيف المباغت ومن ثم القبلة الأخيرة الهادئة والوعد القاطع بحفظ هذا السر.. كان هذا هو السر البتيم الذي احتفظت به في البدايات الأولى.. ومنذ ذلك الحين اعتدت حفظ الأسرار.

وأكد زيدان أنه رغم الزحام والفقر الخجول كانت الحياة في دمشق آنذاك مثيرة للحدس، وخاصة أن أهل قريته يحسدونهم لمجرد العيش في دمشق.

وفي الفصل الثالث يشير إلى أنه طوال السنوات الخمس التي قضاها من طفولته في دمشق ظل ويكشف زيدان في الفصل ذاته أنه في ذلك البيت

وختم زيدان حديثه بالإشادة بالطقس الثقافي في معرض الكتاب، واصفاً مكتبة الأسد بأنها من أهم الصروح الثقافية في العالم، وذاكرًا بأن ما راه يؤكد أن السوريين متمسكون بالحياة وبراءة الحياة وبممارسة ثقافة الحياة.

وتحدث عن انتقاله للعيش في الفصل الثاني، فذكر: عمل والدي حملنا إلى أزقة دمشق القديمة بعد سنوات قليلة من ولادتي، فجأة ضاق المدى الربح لقرينتي واختزل بغرفة ضيقة الأرجاء بأثاث متواضع وسرير معدني يعرض تريماته التريبة كلما قلب أحد عليه.. أفتنا الضجيج المباغت وبدأنا نمارس مع الحيران الكثر طفوس التشارك الأول.. الحمام مشترك المطبخ مشترك وفسحة الدار مشتركة.

ويكشف زيدان في الفصل ذاته أنه في ذلك البيت

نادين خوري: زيدان صاحب تاريخ كبير وعريق

بالحالات والمتناقضات، وعبرت عن تجارب مثمرة تمتعت بروح التعاون والصدق والمثابرة وحب العمل.

ولفت إلى أنها ربما تكتب يوماً ما تراه يستحق الكتابة، منوهة بأن زيدان هو الأجدد على كتابة الكثير من المواضيع، كرسد الواقع وتدهور المجتمع، وعن الإنسان الذي تخلى عن إنسانيته وعن الجفاء بين الأفراد، وعن التكنولوجيا التي كانت سبباً في تفريقنا وفي إلغاء لغة الحوار بيننا.

الفنانة القديرة نادين خوري حضرت حفل التوقيع وأكدت أنها جاءت خصيصاً لهذه المناسبة من دون دعوة وإنما من تلقاء نفسها، للمكانة الكبيرة التي يحتلها زيدان في قلبها. وشددت على أن زيدان فنان صاحب تاريخ كبير وعريق، ويتمتع بدقة عالية في انتقائه للأدوار والأعمال التي يقدمها، مشيرة إلى أنها رافقت في العديد من المسلسلات إن كانت الكوميديّة أو التراجيدية، وأن المسيرة الفنية التي جمعتها كانت غنية وملأى



نادين خوري في حفل توقيع كتابها «عفواً حروفي».

١٢٠ ألف ليرة ثمن أعلى كتاب.. وهناك كتب بمئة ليرة

٢٠ مليون ليرة تقريباً يصرّفها زوار معرض الكتاب يوماً ثمن كتب



نسبة الحسم على الكتاب تصل إلى ٦٠٪، ورغم ذلك تبقى بعض الأسعار أعلى من قدرة المواطن على الشراء، واصفاً توجه المواطن لشراء الكتب بالضيق قياًساً إلى عدد المثقفين الكبير الذي يتنازع به سورية، منوهاً بأنه قبل الأزمة كانت نسبة الحسم بين ٣٠٪ و٤٠٪ أما الآن فنصل إلى ٦٠٪.

كما تنوعت التصريحات حول تأمين المبالغ الشديدة لشراء الكتب على اعتبار المعرض فرصة ينتظرها الكثيرون، فقد بين بعض الزوار الذين تحدثت إليهم «الوطن» بأنهم يلجؤون إلى اعتماد ما يسمى «مطورة الكتب» حيث يدخرون مبالغ بسيطة من وقت لآخر قبل افتتاح المعرض بعدة أشهر، في حين صرّح زوار بأنهم اقترضوا مبالغ وصلت إلى ٥٠ ألف ليرة لشراء الكتب، وخاصة الحالي من حيث إقبال المواطنين، رغم أن هناك حسمات تتراوح بين ٢٥٪ و٦٠٪ للكتاب على أسعار الكتب.

فرق في الأسعار في بعض الدور عن تلك التي خارج المعرض، أي إن بعض الحسمات خفيفة، في المقابل هناك من رأى أن الأسعار مقبولة. كما تنوعت التصريحات حول تأمين المبالغ الشديدة لشراء الكتب على اعتبار المعرض فرصة ينتظرها الكثيرون، فقد بين بعض الزوار الذين تحدثت إليهم «الوطن» بأنهم يلجؤون إلى اعتماد ما يسمى «مطورة الكتب» حيث يدخرون مبالغ بسيطة من وقت لآخر قبل افتتاح المعرض بعدة أشهر، في حين صرّح زوار بأنهم اقترضوا مبالغ وصلت إلى ٥٠ ألف ليرة لشراء الكتب، وخاصة الحالي من حيث إقبال المواطنين، رغم أن هناك حسمات تتراوح بين ٢٥٪ و٦٠٪ للكتاب على أسعار الكتب.

الوطن

٢٠ مليون ليرة سورية، تقديرياً، يتفقها زوار معرض الكتاب يوماً، فثمناً للكتاب، هذا ما يمكن استنتاجه بعد جولة «الوطن» في المعرض المغمم في مكتبة الأسد بدمشق، وحديثاً مع دور النشر عن تقديرات وسيط مبيعاتهم اليومية. دور النشر صرحت لـ«الوطن» بأنها تتبيع يومياً بنحو ١٠٠ ألف ليرة سورية، في الأيام العادية، نظراً لأن المبيعات في آخر يومين تكون مرتفعة بشكل كبير، مقارنة بالأيام السابقة، علماً بأن بعض دور النشر تحدثت عن مبيعات متواضعة بالكاد تصل ٥٠ ألف ليرة، وهي دور نشر محلية، تتبيع كتباً بأسعار زهيدة نوعاً ما، إذ يتراوح ثمن الكتاب بين ٢٠٠ إلى ٦٠٠ ليرة سورية، على حين وصلت تصريحات بعض الدور إلى ٢٥٠ ألف ليرة وأكثر، وبعضها دور نشر لبنانية، تتبيع كتباً بأسعار مرتفعة نوعاً ما، قياساً إلى القدرة الشرائية للمواطن اليوم.

وعلى اعتبار وسيط مبيعات دار النشر ١٠٠ ألف ليرة يومياً، وهي تصريحات أغلب دور النشر، التي تبلغ تعدادها ٢٠٠ دار مشاركة في المعرض؛ تكون أرباحاً نحو ٢٠ مليون ليرة سورية مبيعات يومية للكتاب في المعرض، والرقم مرجح لأن ارتفاع خلال آخر يومين من المعرض. أما عن أسعار الكتب، فقد تبين خلال الجولة على أغلب دور النشر، وجود تباين في الأسعار، فهناك دور تتبيع كتباً بأسعار معقولة، وأغلبها محلية، إذ يصل فيها ثمن أبهظ كتاب إلى ٥٠٠٠ ليرة، وبعضها يبيع بأسعار مرتفعة قليلاً، يصل فيها ثمن الكتاب إلى ١٦ ألف ليرة، ويعد الحسم يصل إلى ٨٠٠٠ ليرة، إلا أن بعض دور النشر تتبيع بأسعار مرتفعة قياساً إلى القدرة الشرائية للمواطن السوري اليوم، إذ وصل سعر أغلى كتاب رصده «الوطن» إلى ١٢٠ ألف ليرة سورية، وهو كتاب واحد وليس مجموعة من أجزاء، علماً بأن السعر بالتحويل إلى دولار اليوم نحو ٣٧٠ دولاراً، على حين هناك كتابات تباع بنحو ٢٠٠ ليرة سورية، أما بعض الكتب المتخصصة وخاصة في مجالات الهندسة مثلاً، أو الكتب الطبية، فقد تجاوزت أسعار بعضها ٤ آلاف ليرة سورية.

علماً أن ثمة دور نشر تتبيع بحسوم على الكتب المسعرة بالدولار تصل إلى حساب سعر صرف الدولار بمئة ليرة سورية، ومن ثم تتراوح أسعار كتبها بين ١٠٠٠ و٥٠٠٠ ليرة سورية. وفي استطلاع آراء الزوار لوحظ أن النسبة الأكبر منهم عبروا عن غلاظة أسعار الكتب، وارتفاعها بالنسبة للسنوات الماضية، وأنه لا



وهي تلخص كل ما صبت إليه من اعتذار صريح لكل شخص فينا حيث تقول: «عفواً حروفي سامحيني.. أفتكلم بجمر ممعني، فقط الحروف من يحق لها أن تعرف.. اغتيلت الكلمة وفقت العيون.. أه حروفي كيف ستحملين.. هول القضية.. بيلادي أخذوا موني.. ملعونة فاجرة قد كفرت بحريتي.. لا تسأليني وشاركتيني وحده المعنوية.. جريمتي فاقت حدود البشرية.. لأنني عاشق للوطن قاوت كافتة.. لأنني حضنت وريدي.. قالوا خائفة.. لأن أبي تزوج من دون تصريح.. قالوا طائفة.. عفواً حروفي سامحيني».

عويل

لم تنس الحكم العربي وتلك الخبيات الكثيرة التي افتعلوها وإهمالهم القضية العربية راكضين وراء ملذاتهم الشخصية فقالت: «ترنحوا تبحثوا اسكروا.. اشربوا نخيكم من دموعنا.. ارفعوا كؤوسكم فقد انتصرتم.. ضيعتم الأوطان وقتلتهم.. ترنحوا تبحثوا ثمال.. يا عظمانا.. يا أسيدانا.. يا من وكلم الله علينا ماذا بعد؟ ضيعتم البلاد وتاهت العباد.. تحت خلاخل العاهرات صرفتم الدولارات.. بنسأ لكم.. سورية قيدتموها.. العراق قطعتموها.. اليمن اشعلتموها.. وليبيا ذبحتوها.. فيا قلدستا لا تستجدي.. يا مدينة الأتنياء.. صلوا إنجيلك.. ومزقوا أرتك».

هواجس اليتيم

إنه لشيء محزن أن يطول الدمع عيني طفل حرم

سارة سلامة - ت: طارق السعدوني

حروفها تنبض بحياة أكثر جمالاً وأنصع بياضاً وأنكى رائحة.. ومن الحياة تستشف كلماتها فهي تعيش ضمن مفهومها الخاص ودفء عطائها، وهذا ما دفع حروفها اليوم إلى الاعتذار منا جميعاً ومن كل ما يعكر صفو حياتنا، وتعتذر للألم وللألمة واليتيم وللقدس.. وتطمح دائماً بحياة أكثر سعادة للأوطان العربية على أمل أن يصل الشعب العربي إلى مبتغاه ويكون النصر حليفه، هذا أبرز ما ذكرته الكاتبة فريال خلف في مجموعتها الشعرية الجديدة بعنوان «عفواً حروفي» الصادرة عن دار سوريانا حيث وقعتها في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق وذلك ضمن فعاليات معرض الكتاب.

وقالت الكاتبة فريال خلف في تصريح خاص لـ«الوطن»: «انتهت المجموعة بعنوان «عفواً حروفي»، لأنها تقتدر من الإنسانية جمها، وتعتذر من كل يتيم ومهجر وأرملة ومن العلاقات الإنسانية، ومن الأخ الذي طعن أخيه، ومن الأم التي نسبت أبناءها لذلك فإن حروفي اختارت الاعتذار من كل الناس على أمل أن أكون قد أوصلت فكرة صغيرة لهم، وضمت المجموعة الكثير من الموضوعات المختلفة وتطرق إلى اليمن والعراق وفلسطين وسورية لأنني إنسان أحمل الكثير من الواقع والشقاوية ومن هذه الواقعية استنفذ سطوري وداثماً ما أرتعب من كل شخص عندما يقرأ شعري أن يقرأ شخصيتي في الوقت ذاته لأنني لا أكتب في الغموض، أما العنوان الآخر الذي أحضره اليوم فهو رواية وهي قيد الإنجاز».

واختارت الكاتبة الإهداء «لذات العينين الدامعتين.. لغصن الزيتون.. لمسرى الرسول.. لفلسطين أكتب.. لمن بعد موتي سأحيا بقولهم أولادي.. لبي ضربت فأوجعت فنجست حروفي.. لقراري شدة عزف حروفي.. لعم جميعاً كتبت».

عفواً حروفي

هذه القصيدة التي اختارتها عنواناً للمجموعة